الفُتُوحَات المكيّة
للشيخ الإمام خاتم الأولياء أبي بكر محيي الدّين محمّد بن علي
بن محمّد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي "المعروف بابن عربي"
المتوفّى سنة ٦٣٨ هـ
ضبطه وصحّحه ووضع فهارسه
أحمد شمس الدّين
المجلّد الثالث
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

ذكرنا، ولا يكون هذا الوصف إلاّ للرسول البشري، وما عدا هذا من ضروب الوحي فإنه يكون لغير النبيّ والرسول، والفرق بين النبيّ والرسول أن النبيّ إذا ألقى إليه الروح ما ذكرناه اقتصر بذلك الحكم على نفسه خاصة ويحرم عليه أن يتبع غيره فهذا هو النبيّ، فإذا قيل له: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ إما لطائفة مخصوصة كسائر الأنبياء، وإما عامة للناس ولم يكن ذلك إلاّ لمحمد ﷺ لم يكن لغيره قبله، فسمّي بهذا الوجه رسولاً والذي جاء به رسالة، وما اختصّ به من الحكم في نفسه وحرّم على غيره من ذلك الحكم هو نبيّ مع كونه رسولاً، وإن لم يخصّ في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث إليهم فهو رسول لا نبيّ، وأعني نبوة الشرائع التي ليست للأولياء، فكل رسول لم يخصّ بشيء من الحكم في حق نفسه فهو رسول لا نبيّ، وإن خصّ مع التبليغ فهو رسول ونبيّ، فما كل رسول نبيّ على ما قلناه، ولا كل نبيّ رسول بلا خلاف.

ثم إن الورثة وهم الأتباع الذين أمروا بالتبليغ كمعاذ وعلي ودحية رسل رسول الله ﷺ ولا يزال كل متأخر مأموراً بالتبليغ ممّن أمر بالتبليغ متصل الطريق مأموراً عن مأمور إلى رسول الله ﷺ يسمّى رسولاً، ولكن ما هي الرسالة التي انقطعت والرسالة التي انقطعت هي تنزلِ الحكم الإلهيّ على قلب البشر بوساطة الروح كما قررناه، فذلك الباب هو الذي سدّ، والرسالة والنبوّة التي انقطعت، وأما الإلقاء بغير التشريع فليس بمحجور، ولا التعريفات الإلهية بصحة الحكم المقرّر أو فساده فلم تنقطع، وكذلك تنزّل القرآن على قلوب الأولياء ما انقطع مع كونه محفوظاً لهم ولكن لهم ذوق الإنزال وهذا لبعضهم.

ولهذا ذكر عن أبي يزيد أنه ما مات حتى استظهر القرآن أي أخذه عن إنزال وهو الذي نبّه النبيّ ﷺ فيمن حفظ القرآن، يعني على هذا الوجه أن النبوة قد أدرجت بين جنبيه ولم يقل في صدره، وهذا معنى استظهار القرآن أي أخذه عن ظهر، فله مثل هذا التنزّل مستمر فيمن شاء الله من عباده، لكن على هذا النعت والصفة وهو قوله تعالىٰ: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة غافر: الآية ١٥] فالرسل مبشرون ومنذرون، والورثة منذرون خاصة لا مبشرون لكنهم مبشرون اسم مفعول، فإذا بشّر الوليّ أحداً بسعادة فما هو من هذا الباب، بل البشارة في ذلك بتعيين السعيد، وبشارة الأنبياء متعلقة بالعمل المشروع وهو أنه من عمل كذا كان له كذا في الجنة أو نجاه الله من النار بعمل كذا، هذا لا يكون إلاّ للرسل ليس للوليّ فيه دخول، وله أن يعطي تعيين السعيد لا من حيث العمل فيقول في الكافر وهو في حال كفره إنه سعيد، وفي المؤمن في حال إيمانه إنه شقيّ فيختم لكل واحد بالسبب الموجب لسعادته أو شقاوته تصديقاً لقول الوليّ هذا القدر بقي للأولياء من نبوّة الإخبار لا من نبوّة التشريع، ولها من الحروف ياء العلة وله الدعوى والآيات وصاحبها مسؤول، وله الكشف في أوقات وهو قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [سورة القيامة: الآية ١٦] وهي وإن نزلت من الكرسي فإذا رجعت فلا تتعدى سدرة المنتهى.

والرسالة تنزل معاني وتعود إلى السدرة صوراً ينشئها العبد إنشاء، وهذا له من الاسم الخلاّق الذي أعطى ومعراجها براقي ورفرفي ولكن من السموات، ورئيس أرواحها النازلين